ذكريات جميلة
عن العمل مع الخالدين
للأستاذ عبد الله كنون

كان

للإعلان عن إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو مجمع الملك فؤاد الأول كما سمى بادىء بدء فى العام الثانى من العقد الرابع لهذا القرن ، صدى استسحان وابتهاج فى جميع الأقطار العربية ، لما يحس به جميع المثقفين العرب من حاجة اللغة إلى تطور وتجديد لمسايرة العصر والنهضة العلمية الحديثة . وتشرفت كما تشرف غيرى لأعمال هذا المجمع . ونحن على يقين بأن مصر ، ومالها من قدرات مادية ومعنوية وما تزخر به من أدمغة علمية وأدبية ، ستنفخ فى لغتنا الضادية روحا جديدة وتبعثها من مرقدها الذى نامت فيه حقبا طويلة ، وكانت المواصلات المتقطعة فى أغلب الأحيان تحول بيننا وبين الاطلاع على ما يصدر عن المجمع من إنتاج ، وإنما نتسقط أخباره على قلة من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية التى لا تشفى غليلا من فكرة ولا ثقافة ، بل إنها ربما تندرت به وبرجاله ، وهى التى روجت لمصطلح «الشاطر والمشطور وبينهما كامخ» زعماً بأن المجمع وضعه لما يسمى بالساندويش ، وكنت كثير الحرص على مجلة المجمع التى لا تعرفها شركات التوزيع ، أتطلبها بكل الوسائل ، كما أفعل فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ولا أحصل على هذه ولا على تلك إلا بمشقة ، وليس دائماً ، فى حين أن مجلة المقتطف التى تتولى توزيعها الشركات المختصة ، قلما تفوتنى ، وكانت هذه المجلات الثلاث هى التى تشبع نهمى العلمى .

واتصلت مباشرة بالمجمع لأول مرة فى سنة 1975 حين كنت فى زيارة لمصر ، وحضرت جلسة علنية له ، تكلم فيها الدكتور منصور فهمى الأمين العام للمجمع ، كما تكلم الأستاذ شفيق غربال ، وحضرها ممن عرفت مفتى القدس الحاج

أمين الحسينى وهو الذى اصطحبنى معه إلى المجمع ، وقبل انعقاد هذه الجلسة طرحت سؤالا على بعض من تحلقنا معهم فى قاعة الانتظار عن كلمة (المطبات) وكنت سمعتها كثيرا أثناء الكلام عن السفر بالطائرة ، ولا حظت أن الناس فى المشرق يغلب عليهم أن يقولوا مُنَىً بضم الميم فى اسم هذه القرية من مشاعر الحج ، والمعروف فيه الكسر ، فأنشد سماحة المفتى البيت المشهور :

مُنَى إن تكن حقًّا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رَغْدَا

لكنه أكد أن اسم القرية هو منى بكسر أوله وأن ما يجرى على ألسنة بعض الناس إنما هوو من التعلل بالمنى والتشابه بين اللفظين . وكان اعتذارا لطيفاً من سماحته لهؤلاء الناس . وذلك مما استفدته بالقرب من أخلاق المجمعين ، وأنا فى ذلك الحين أشرف بعضوية المجمع العلمى العربى بدمشق ، إذ التحقت به سنة 1956 بقرار من الرئيس شكرى القوتلى ، وقد عرّجت على دمشق قبل وصولى إلى القاهرة ، عائدا من الحج أنا ورفاق فى الوفد الرسمى ، فزرنا المجمع فى بنايته الأثرية ، ورئيسه يومئذ الأستاذ خليل مردم بك ،فاحتفل بنا وتعرفنا ببعض أعضائه وأمينه العام وقتئذ وهو الأمير جعفر الحسينى وكان الأستاذ مردم يحقق ديوان ابن الخياط على عدة نسخ ، منها نسخة مغربية الخط ، فسألنى عن بعض الكلمات التى تردد فى قراءتها ، وأخبرته أن عندنا فى المغرب نسخة جيدة منه فطلب إتحافه بها ،وهى من خزانة السيد اليزيد بن صالح باشا تطوان سابقا ، فأرسلت إليه صورة منها ، وقد قال فى مقدمة الديوان عند نشره إنها أقدم النسخ التى عثر عليها تاريخاً وأقلها أخطاءً .

وهكذا كتب لى فى هذه الرحلة الاحتكاك بالمجمعيين فى مصر والشام ومخاطبتهم عن قرب ، بعد أن كانت صلتى بهم عن طريق المراسلة ، وخاصة الزملاء السوريين وأولهم الرئيس محمد كرد على الذى كاتبته ببعض الملاحظات على ما قرأته فى المجلة ورد على طالبا مواصلة الكتابة إليه وأهدانى نسخة من كتابه كنوز الأجداد فَوْرَ صُدوره .

وفى سنة 1961 أُشعرت بانتخابى عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،

غير طالب ولا سعى ولا تشوف – علم الله – لأنى لم أكن هناك عند نفسى ، فأحرى عند غيرى ، والناقد بصير كما يقولون ، وقد كان الأمر كذلك فى عضوية مجمع دمشق ، فالقضية إذن إنما هى قسمة وحظ ونصيب ! . . وكيفما كان الحال فالأمر جد ويجب أن يُعطَى ما يستحقه من الأهمية ،ومجمع القاهرة له مؤتمر سنوى يحضره الأعضاءالعاملون للمشاركة بالرأى والمناقشة فيما أنجزه من أعمال طول السنة وتقديم ما يكون لهم من أبحاث لغوية وأدبية ،إضافة إلى تمتين الروابط بين الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية وإخوانهم المصريين ،وهى روابط تمثل وحدة اللغة والفكر والثقافة ، لا سيما وقد عُيِّن معى فى تلك السنة عشرة أعضاء من مختلف البلاد العربية ، وهم الأساتذة : أحمد عقَبات ، إسحاق الحسينى ، أنيس المقدسى ، عبد الله الطيِّب ، على الفقيه حسن ، عمر فرُّوخ ، قَدرى حافظ طُوقان ، محمد البشير الإبراهيمى ، محمد بهجة الأثرى ، محمد الفاضل ابن عاشور .

كان استقبال هذا الفوج الجديد من الأعضاء جماعِيا ،قام به الدكتور إبراهيم مدكور وهو يومئذ الأمين العام للمجمع ،ورد عليه باسم بقية الأعضاء الشيخ البشير الإبراهيمى .واشتملت كلمة الدكتورمدكور على التعريف بمهمةِ المجمع ووضْع اللغة العربية فى الحاضر وما يؤمل أن تكون عليه فى المستقبل وقال عن الأعضاء الجدد « إنهم بين أديب ولغوى وفقيه وقانونى وعالم ومؤرخ وصحفى وسياسى ، فى غِنى عن التعريف ولا سبيل لأن أُوفيهم حقهم » ولكنه قدم كل واحد منهم بكلمة مُوجزة تُبين تخصصه واهتماماتِه ، وكان ذلك فى المؤتمر السنوى للمجمع . وفيه ابتداءً عملنا فى المجمع ومشاركة كلّ بما تَهيأ له من بحث لغوى أو أدبى أو تاريخى ،مع الإسهام فى مناقشة ما يعرض من أبحاث ومصطلحات وقرارات يقدمها مجلس المجمع أو أعضاؤه ، وكان إسهامى الأول ببحث لغوى يحمل عنوان : « لِمَا بِه وألفاظ أخرى . . . » وقد نوقش هذا البحث ووقع التنويه به ، وتَلقيْتُ بعد ذلك ولمدة طويلة من غير واحد من الزملاء شواهد تؤيد ما قلته فى تعبير « لما به » وكلمة الواسطة من الألفاظ التى ذكرتُها معه .

ومن أحسن ما أرويه فى هذا الصدد أنه وقعت المذاكرة فيما عُرض على مؤتمر المجمع من اقتراح يقضى بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التى يقدمها الأعضاءُ للمؤتمر ، فكان هناك مُساندون للاقتراح ومعارضون ، وكان الأُستاذ عباس محمود العقاد من المعارضِين قائلا إن فى ذلك تقييدا لحرية الأعضاءِ وتضييقاً عليهم فى مجالات البحث الواسعة ، وضَرب المثل ببحثى المتعلق بتعبير « لما به » وشَرْحِه الذى لولا تَرك الباب مفتوحاً فى وجه الأعضاءِ لِطَرْق ما يعِنُّ لهم لما ظفِرْنَا به .

وكان الأُستاذ العقاد إنما يحضُر بعد افتتاح الجلسات ،ويتابع بعضَ فَقَرات جدول الأعمال ويناقش ما يستدعى المناقشة بعُمْق ،وخصوصاً المصطلحات العلمية ثم ينصرف قبل اختتام الجلسة .كما أنه لا يحضر الاستقبالات والمآدب والرحلات التى ينظمها المجمع . وبعكس ذلك الرئيس الدكتور طه حسين فإنه كان يحضر الجلسات من الأول ويفتتحهاهو على ما كان به من مرض مُزْمن ، ويدخل قاعة الاجتماع محمُولاً تقريباً ، ومعه زوجه التى تمسح على رأسه وتُصلح هِنْدامه . وهو يبتسم ، ويتتبع سير العمل ولكنه لا يقول شيئاً ، إلا إذا مَّرت كلمة أو ذُكر نصٌّ مِما يمتُّ لألفاظ القرآن بصِلة ، فإنه يذكر الآية التى وردت فيها تلك الكلمة ، أو تُشاكل النص باللفظ ، وإن لم تكن شاهدا على ما يجرى الكلام فيه .

وهكذا كانت آى القرآن الكريم على طَرف الثُّمام منه . يقرأُها وكأنه ينظر فى مصحفٍ ، وهكذا كانت رئاسته فيما أدركنا ه تشريفية فقط ، أماتسيير الجلسة وما تتطلبه الرئاسة فكان من شأْن الأمين العام الدكتور إبراهيم مدكور.على أنه بعد اشتداد مرضه صار يتخلف عن الحضور كثيرا وينوب عنه فى رئاسة الجلسات خليفتُه الأُستاذ زكى المهندس .

وعلى ذكر جدول الأعمال نُشِير إلى أنه يكون ذا جوانب ؛ لكل واحد منها يستَشِير فريقا من الأعضاء ذوى الاختصاصات المختلفة ، فَقَوائم المصطلحات تهم أهل العلم من جهة وأهل العربية من جهة أُخرى. وألفاظ الحضارة ولغة الصحافة تعنى الجميع . وكان يعتنى بجمعهاوتقديمها الأُستاذ محمود تيمور. ومذكرات

لجنتَى الأُصول والألفاظ والأَساليب تحظى بدراسة حادَّة من علماءِ العربية .ومواد المعجم الكبير تستقطب أَهل اللغة والأَدب والعلوم واللغات السامية والمؤرخين وسواهم ثم البحوث التى يُلقيها أَصحابُها فى أَبواب المعرفة المتنوعة ، وهى بحسب موضوعاتها تَكُون محطَّ عناية العالمين بتلك الموضوعات .

وتحتدم معارك المناقشة فى هذه المجالات ، فنى المصطلحات العلمية الجديدة التى يضعها المجمع بمعرفة اللجان المختصة رُبما حُوِّر مصطلح أَو أُخِّر لإعادة النظر فيه أَو اسْتبدل بغيره مما يقترحه أَحد الأَعضاءِ وتكون المناقشة فيها بين أَهل الاختصاص وعلماءِ العربية ، أُولئك فى تحديد معناها بالضبط وهؤلاءِ فى موافقة صياغتها للقواعد وهذا مع العلم بأَن المجمع يُرسل قوائم هذه المصطلحات إلى الأَعضاءِ العاملين بالبلاد العربية للاطلاع عليها وإبداءِ نظرهم فيها قبل عرضها على المؤتمر لإقرارها ، ولذلك تكون المناقشة فيها خفيفة . وكذلك تُناقَش الأَلفاظ الحضارية والصحفية ويُقَرّ منها ما يُقر ويُستبعد ما يستبعد . ولكن المناقشة تحتد كثيرا وتطول فى قرارات لجنة الأُصول ولجنة الأَلفاظ والأَساليب ، ويقف علماءُ العربية منها مواقف مُتحفِّظة ولا يسلمون منها إلا القليل . وكان للمرحوم الشيخ محمد على النجار فى هذا الصدد مصادمات مع غير واحد من الأَعضاءِ المتساهلين الذين يصفُونه بالتزمت والتشديد وخَلَفه فى ذلك المرحوم الأُستاذ عباس حسن ، بل إن هذا كان أَكثر تَصدِّيا وتعرضا لكل مخالفة للقواعد والأُصول يواجهها بالنص والدليل الحاضر ولا يدَعُها تمرّ بوجه من الوجوه وكان يحمل دفترا صغيرا فى جيبه يتضمن نصوصا وشواهد من مختلف الكتب الأُمَّهات والمتون المستعملة والشروح والحواشى فى عبارات وجيزة مع الإشارة للمصدر بالاسم والصفحة والطبعة ، فلا يفتأ يرجع إليه ويستظهر به . ويتضايق بعض الأَعضاءِ من استقصائه ، وتُحاولُ الرئاسةُ أَن تُقفل الموضوع ، ولكنه يمضى لطِيَّته لا يلوى على شىءٍ حتى يتِم (مُرافعَته) مستمنحا حِلْم المُتضايقين . . ولا يختص هذان العضوان بالمنافحة القوية عن العربية وسلامتها لحد الغضب والتشنُّج كما رأَينا ، فهناك آخرون من مصر كالأُستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن والأُستاذ

محمد بهجة الأثرى من العراق ، والدكتور عمر فروخ من لبنان وغيرهم . والقضية قضية اتجاهين ، اتجاه محافظ واتجاه مجدد ، والكل يريد الخير للغة العربية ويعمل على تقدمها وازدهارها . وقد يقع هذا التعارض بين رجال من أهل العلم التجريبي ويصل إلى المهاجمة ، فلا أزال أذكر كيف وقف الدكتور عبد الحليم منتصر ، وهو عالم نباتى كبير فى وجه الدكتور محمد كامل حسين ، وهو طبيب وأديب وكان يتكلم على تطوير العربية والتحلل من (الأشمونيات) والكتب الصفراء فرد عليه الدكتور منتصر فى ثورة عارمة وقال له إن الأشمونيات والكتب الصفراء هى التى حفظت لنا لغتنا وصانتها من العُجْمة ، وأنت نفسك إذا أردت تحقيق مسألة من لطب لا بد أن ترجع إلى الكتب الصفراء وأشمونيات الطب ! ولا ننسى أن الدكتور اكامل حسين هو صاحب كتاب النحو المعقول ! . .

وللدكتور محمد أحمد سليمان وهو طبيب أيضاً مواقف من هذا القبيل ، فليس الأمر مقصورا على علماء العربية ، أى اتجاه المحافظة ، ولا خلافه مختصاً بأهل العلم العام ، فمن أنصار التجديد الدكتور مهدى علام الأمين العام الحالى للمجمع وهو دكتور أدب وفلسفة ، ومنهم الأستاذ محمد شوقى أمين وهو أستاذ لغة ونحو ، وكثير من الأعضاء ينهجون نهج التوسط وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم مدكور .

وإذا كان لى أن أحشر نفسى فى هذا المقام فإنى أميلُ إلى التجديد ولكن فى حدود أؤيد كل مايُثْرى اللغة ويوسع دلالاتها ، وأفضِّل أن يكون عمل المجمع منصبا ء سد الفراغ وكفاية الحاجة فى كثير من أسماء المواد والآلات والمستحدثات العمرانية والحضارية والعلمية ، وما أكرَهُه وأكون محافظاً فيه كل المحافظة هو الهدم والتجاوز للأُصول والقواعد المحررة بدعوى التسهيل والتيسير ، فكم أسِفْتُ لإلغاء حكم الممنوع من الصرف مثلا ، وهو حكم مبنى على قياس صحيح واستقراء تام ، وإن كنتُ أحمدُ الله على أن أحداً لم يأخذ بهذا (التجديد) أو التسهيل . وما زالت الأسماءُ الممنوعة من الصرف والعِلَل المُوجهة لمنعها محترمة من الجميع . وأعتقد أن كل ما كان من هذا القبيل مبنيا على نظر سديد وتعليل معقول سيبقى بمنجى ن التعديل والتحوير .

ويتصل بهذا الموضوع أن الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور طلب منى ذات يوم أن أرأس جلسة المجمع ، وكان جدول الأعمال يشتمل على مذكرة للجنة الألفاظ والأساليب ، فقال لى أحمد الزملاء إن الرئيس كلفك برئاسة الجلسة حتى لا تُناقش ، فقلت له ليست هذه أول مرة أرأس فيها الجلسة وأُناقش ... وعند عرض مواد الجدول جاءت المذكِّرة المشار إليها وكان فيها توجيه ما جرى به العمل وخاصة فى الشرق من حذف كلمة ابن بين الأسماء المتعددة المستعملة علماً للشخص الواحد مثل أحمد محمد عبد الله وأصله أحمد بن محمد بن عبد الله ، وقد صحَّحت المذكرة هذا الاستعمال وأعربته بعدة وجوه منها جر اسم الثانى بالإضافة إلى الأول ورفع الثالث أو على الأصح إتباعه للأول. . فاستأذنت الرئيس فى المناقشة بحكم أن رئاستى بالنيابة وقلت إن هذا الإعراب لا يصح لأن فيه الإتباع بعد القطع وهو لا يجوز ، فوافق الرئيس والمجلس وأُلْغِى هذا الإعراب . وهذا مما يُظهر توسط الدكتور مدكور بين التجديد والمحافظة .

والمعجم الكبير الذى يُعدُّ من أهم أعمال المجمع ، هو أيضاً مما تتوجه إليه عناية الأعضاء على اختلاف اختصاصاتهم ، فبعد ما تَنْكبُّ اللجنة المُحضِّرة لمادته وتبذُلُ جهودها طوالَ السنة فى إعداد مسودة قد تزيد أحياناً على مئة وخمسين صفحة تُرسل إلى الأعضاء العاملين خارج مصر للنظر فيها والملاحظة عليها ، وتطرح هذه المسودة على المؤتمر للمناقشة ، فيتدخل خُبراءُ اللغات السامية وغيرها للتأْصيل ، وخُبراءُ اللغة العربية للتصحيح ، وخبراءُ التاريخ والجغرافية والأدب والعلوم ، فيدلى كل بدلوه ، وتدافِع اللجنة المحضِّرةُ عن رأيها إذا كانت هناك انتقادات . . وقد يُستغنَى عن بعض المعلومات أو الشروح التى يُرى أنه لا حاجة إليها أو ليست مما تتضمنه المعاجم والكتب ممن يسهم فى تحرير هذا المعجم ببعض التحقيقات اللغوية وإضافة ما يراه ضرورياً من المعلومات المتعلقة بتاريخ المغرب الكبير والأندلس وتراجم أعلام من المشرق والمغرب وغير ذلك ، فيؤخذ ذلك بعين الاعتبار فى غالب الأحيان وحبَّةُ رمْل فى صرح هذا المشرع الكبير هى من التعاون الذى لا تتحقق الأمور العظيمة إلا به .

وبالمناسبة أَذكُر أَنى كنتُ حريصاً على وضع المعجم الوجيز ، أَثناءَ الاشتغال بالمعجم الوسيط وبعد صدوره . وأَثناءَ الاشتغال بالمعجم الكبير ، وكنتُ أَطلب التعجيل به ولا سيما فى الجلسة الختامية للمؤتمر ، ليوضَع بأَيدى الطلبة والصحفيين وناشئة الأَدب ، عسى أَن يكتفوا به عن بعض المعاجم المدْخَولة التى ملأَت الساحة . وقد صدر والحمد لله ، وأَتمنى لو أُعطِى امتيازه لبعض دُور النشر الكبيرة بعد مراجعته لإخراجه فى طبعة فاخرة وتوزيعه على أَوسع نطاق فى البلادالعربية ليكون بمتناوَل جميع الراغبين .

وتحتلُّ البحوث اللغوية ، محل الصدارة فى الأَعمال اليوميةللمؤتمر بحيث يكاد لا يخلو يوم من إلقاءِ بحث أَو بحثين ، إما ابتداءً أَو بعد عرض قوائم المصطلحات ولا يكتب كل الأَعضاءِ أَبحاثا بل إن منهم من لم يكتب بحثاً أَصلا وخصوصاً القُدامَى منهم ، ويتشرف الجميع إلى سماع بعض المتكلمين من ذوى الاختصاصات المتنوعة ، أَو المعروفين بالإجادة فيما يتناولونه منالموضوعات ، ومن حسن المعاملة التى نلقاها نحن الضيوف من إخواننا المصريين فى المجمع أَنه إذا كان هناك متكلمان مصرى وعربى وافد ، يقدم الْوَافِدُ على المصرى فى الكلام ، وهو أَدب رفيع لم أَره فى غير مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وتَعقُّب المناقشة أَو التعاليق كل بحث . وتُحال بعض الأَبحاث على اللجان المختصة ، وتحظى بعضُها بالإطراءِ لما تتسم به من الجدَّة والعُمق . ويضيق المقام حتى عن إعطاءِ الأَمثلة فهى كثيرة ، فضلا عما فى ذلك من الحرج .. ولكنى أَذكر فيما يخصنى أَنى قلما حضرت مؤتمرا للمجمع ولم أُقدم بحثا . وأَبحاثى التى قدمتُها تتراوح بين موضوعات اللغة والنحو والأَدبوالتراجم . وبالإضافة إلى بحث « لما به وألفاظ أُخرى » المذكور آنفاً كان لى بحث بعنوان شبيه بهذا وهو : « القُنْداق وألفاظ أُخرى » أَثبت فيه الفرق بين القنداق والفنداق ، على خلاف ما درَج عليه ابنُ منظور فى لسان العرب وبينت معناه ، وبحث بعنوان « هل اسم خلدون ونحوه مُكبر على الطريقة الإسبانية » فندت فيه ما زعمه (دُوزى) وتبعه غير واحد من الكتاب العرب أَن هذه الأَسماءَ التى على وزن فَعْلون مَقِيسة على

الإسبانية وذكرت أمثلة لها من عصر الجاهلية وصدر الإسلام قبل أن تفتح إسبانيا وشرحت قاعدة التكبير فى الإسبانية بما يَستبعِدُ تطبيقَها على هذه الأسماء العربية ، وكان لهذا البحث صدى استحسان إلى حد أن الأُستاذ إبراهيم اللبان هنأنى وقال لى : لقد دافعت عن رأيك بحجة لا تردّ وزاد قائلا : إن إخوانك المصريين يحبونك ويقدرون علمك وخلقك ، وهو كلام قال لى مثلَه الدكتور إبراهيم أنيس أكثر من مرة . وإنما أذكرُ هذه العبارات التى تنضَح بالود والخلق الكريم اعتزازاً بها وتنويها بأصحابها جزاهم الله خيراً ـ فالمقامُ بحاله وقد قال معيار : « اذكرونا مثل ذكرانا لكم ». ومما يتعلق ببحث فعلون أننى تقابلت مع الأُستاذ عباس حسن صاحِب كتاب « النحو الوافى »فى أحد الاستقبالات وكان لم يدخل المجمع بعدُ . فلما تعارفنا قال لى أنت الذى ألقيت بحثا فى الأسماء على وزن فعلون . فعلمت أن خبره تجاوز أبهاءَ المجمع .

ومن الأبحاث اللغوية التى ألقيتها بحث ، بعنوان « السليقة عند العرب المحدثين » بينت فيه أن السليقة فى العربية كالاجتهاد فى الفقه لم ينقطعا بَتَّةً ، فصحّحت بعض الألفاظ التى كان الأُدباء يتحفظون بإزائها ويعدونها من العامية كالفنان وكالطيارة التى تجرى على الأقلام الخ ، وبحث فى علم الجنس الذى يقابلُ علم الشخص ، وبحث يتعلق بتحقيق رسالة فى أحكام الاختصاص للعلامة عبد السلام بن الحاج الجرفطى ونظْمها فى رجز جعلته ذيلا لباب الاختصاص فى الفية ابن مالكْ أقول فيه :

تكملة لباب الاختصاص تسُدَّ منه موضعَ الخَصاص
وترفَعُ الأجعاف بالتأكيد عمَّا لدَى الناظم والمَكُّودى
فإن قارئهما لو أنصفا لقالَ كلٌّ منهما قد أجحفا

ولما ألقيته علَّقَ عليه بعض الأعضاءِ وقال لى الأُستاذ زكى المهندس نائب الرئيس وأُستاذ العربية الذى تخرج على يده عدةُ أجيال : لقد أفدتُ من هذا البحث كثيرا وأعجبنى نظمك له وسأخلو معه وأستمتع بقراءَته على انفراد .

والذكريات من هذا القبيل كثيرة يطول تتبعها ، ولكن أطرفها أو منْ أطرفِها ما حكاه لى الدكتور كامل مُراد ، وكنتُ ألتقِى به أحيانا فى حدائق «كَروبى» عشية فيجلس إلىّ ونتحدث عن المجمع وما مرَّ فى جلساته من مداولات ، وكأنه آنَس منى ما جعله يحكى لى أنه كان فى رحلة بالكويت وأن وفدا من جمعية إسلامية زاره وطلب منه التفضل بمحاضرة فى نادى الجمعية عن الإسلام ، فقال له أنا مسيحى لا أعرف عن الإسلام شيئاً ، وضحك وضحكتُ معه وعرفت مايُريده . وكنتُ فعلاً أجهل أنه مسيحى ! . .

وإن أنس لا أنسى الرِّحْلات التى ينظمها لنا المجمع إلى بعض المدن كالإسكندرية وبور سعيد وإلى بعض المعالم التاريخية كأهرام سقارة أو بعض المنشآت الصناعية وغيرها ، وتكون فرصةً لنا للاطلاع على مآثر مصر ومظاهر نهضتها الحديثة ، ومناسبةً للاجتماع والاحتكاك بجميع موظفى المجمع والعاملين فيه من محررين وكتاب ومديرين ونمتطى متن حافلة كبيرة ويختلط بعضنا ببعض ونتحدث فى مختلف الشؤُون ، ويكون خروجنا من القاهرة مُبكِّراً ، فنتناول وجبة الفطور ببعض المحطات الريفية ويُوزِّع علينا الدكتور مهدى علام من جرَاب يصحبه معه حَفَنات من اللوز والفُول السودانى. وعند الوصول تستقبلنا الجهةُ المقصودة بحفاوة بالغة ونتفرج على المعمل ونطوف بالبلد أو نقف على الأثر ونستمع إلى البيانات المفيدة ، ونتناول طعام الغَداءِ على مائدة المستقبلين ثم نعود مُودَّعين بما استقْبلنا به من حفاوة ، ولا يتخلف هذا التقليد فى مؤتمر من مؤتمرات المجمع ، ويكون مرتين فى كل مؤتمر أى رحلة وزيارة فى يومى عمل يتحَفَّف فيهما الأعضاءُ من تعب العمل ويستفيدون مما يرونه على الطبيعة ما يزيدهم معرفة بمصر قلب البلاد العربية النابض وقُبَّة الإسلام كما عبر عنها أحد رحالتنا الكبار .

ولا أستطيع أن ألمّ بهذه الرحلات العديدة فلأُشِر إلى واحدة منها ، وفى مِثْلها يُقال يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، وتلك هى التى زرنا فيها المُفاعِل الذرى

بالصحراء ، فأخذتنا النشوة بالاستماع إلى الخبراء الواقعين عند كل جهاز من أجهزة المركز ، وهم يتحدثون إلينا عن سير العمل بلغة عربية سليمة ، عامية مصرية ولكنها عربية خالصة تستوعب جميع التفاصيل عن تشغيل الجهاز وجميع المصطلحات إلا فى النادر حين يضطر الخبير إلى استعمال مُفْردة أجنبية ، معتذرا عن عدم معرفته لمرادفتها العربية ـ راجياً من المجمع أن يسميها ـ وفى المفردات التى يستعملها هو ، ما لم يضع المجمع له اسما بعدُ ، فيُلاحظ الأعضاءُ أنه مصطلح لابأس به أو أنه أوْفَق الكلمات للمفردة الأجنبية فيشجعونه على المضي فى الحديث ، ويستمر هو فى الحديث ويُطبق القول على الفعل عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة أو عشرين ، من غير أن يتوقف أو يتلعثم أو يستعمل كلمة أجنبية فأحرى جُملةً إلا فى القليل النادر كما ذكرت آنفاً ، وهذا الخبير غالبا ما يكون شاباأو فتاة ، دكتورا فى الخامسة والعشرين وما قاربها . وهو أمر يُدخل الغِبطة على النفس ويُفعم القلب بالسرور .

ولعلى أطنبت فى هذه الذكريات الجميلة ، ومع ذلك بقيت أشياء وأشياء لم ألم بها ، وهى الهمَسات الخفيفة بين المُتجاورين فى الجلسة وكنتُ دائماً جازا للدكتور مهدى علام وهو صاحب مُلاحظات وتعقيبات شعرية ونثرية ، والدكتور أحمد عمار وهو صاحب نُكت ولطائف . وكنتُ أنشدته مرة مما جر إليه الموضوع هذين البيتين :

العلماءُ كلهم من سادا أو لم يسد لم يَبْلُغِ المُرادا

فرزقهم مُرَخَّم منادى (كياسُعا فيمن دعا سعادا)

فلم يتمالك من الإعجاب بهما وصار ينشدهما مرات فى المجلس وكلما تقابلنا وكان كثيراً ما يطرح علىَّ بعضَ الأسئلة على سبيل الاختبار كعدد حروف القرآن ونصفه بالكلمة أو الحرف والكلمة التى تتركب من عشرة أحرف مما كنا نتعاطاه فى الكتَّاب فأُلقى عليه أسئلة مماثِلة ، وكان كثير الانبساط والانشراح ولضحكه صوت عال يثير انتباه الأعضاء من بعيد . وفى بعض الأحيان يكاد يجعلنى لا أتابع ما يقال

فى المجلس بمُستملحات وإنشاءات ، وقلتُ فى العام الماضى للدكتور علام إن الدكتور عمار يُدخِّن كثيراً فقال لى لقد صارت حياة عمار عبارة عن التدخين والنكتة ، فيالله كأَنه كان يسرع إلى أَجله . ومن الأَشياءِ التى فاتتنى فى هذه الذكريات بعض المطارحات الشعرية وخاصة مع الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ومنها الإشارة إلى كيفية تسيير الجلسات وضبط المناقشة وفن الإدارة مما تميَّزبه السيد الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور ، ولكن الكلام طال وربما أَدى إلى الملل وفى العنوان ما يدل على الجواب .

فتحيةً للخالدين فى العيد الذَّهبى لمجمعنا الموقر ،وفَّر الله جَمْعَهم وبَارَك فى أَنفَاسهم ورحِم من ودع منهم وبوأهم مقعد صدق فى الملأ الأَعلى ، والسلام .

الاستاذ عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب